

أديرة القدس الشريف

عبد اللطيف خطاب⁽¹⁾

مقدمة

الدير في تعريفات القدامى هو البيت الذي يتعبد فيه الرهبان، ويحددون مكانه قديماً بأنه لا يكون في المصر الأعظم، أي في الحواضر، وإنما يكون في الصحارى، وقمم الجبال، أما إذا كان في المصر الأعظم أي في الحواضر فإنه يكون كنيسة أو بيعة.

قال الجوهري: دير النصارى أصله الواو أي دور وجمعه أديار. والديراني: صاحبه الذي يُنسَبُ إليه، وهو نسب بالعربية على غير قياس. وقال أبو منصور "صاحبه الذي يسكنه ويُعمره ديراني وديّار". وقال سلمة بن عاصم النحوي الكوفي عن أستاذه أبي زكريا يحيى بن زياد الفراء، يقال: دار وديار ودور، وفي الجمع القليل: أدورٌ وأدورٌ وديرانٌ ويقال: أدر، على القلب، ويقال: دَيْرٌ ودَيْرَةٌ وأديارٌ وديران، ودارةٌ ودارات وأديرةٌ وديرودور ودورانٌ وأدوارٌ ودِوارٌ وأدِورَةٌ، هكذا على نسق. ويقول ياقوت الحموي في الدير لغة: وهذا يشعر بأن الدير من اللغات في الدار ولعله بعد تسمية الدار به خصّص بالموضع الذي تسكنه الرهبان، فصار علماً عليه، والله أعلم بالصواب.

تقدمة

يقول المؤرخ ابن البطريق إن عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) جلس في صحن كنيسة القيامة، ولما حضرته الصلاة أشار البطرك عليه أن يصلي في موضعه، فأبى عمر حتى لا يتخذ المسلمون الكنيسة مسجداً من بعده، وصلى خارج باحة الكنيسة.

(1) باحث من سورية.

أول أسقف للقدس الشريف

إن أول أسقف للقدس الشريف هو يعقوب أحد تلاميذ السيد المسيح، وكان أن تقلد شؤون مسيحيي القدس سنة 34 للميلاد، وفي مجمع خلقدونية المسكوني 451م جعلت القدس بطريركة وكان أول بطريرك تولى المنصب يوفناولوس (كان أسقفاً من 421 إلى 451م) وبطريركاً من (451-458م).

وكان بطريرك القدس ينتخب من أي من الجماعات التي تتكون المسيحية منها في فلسطين: العرب والآراميون واليونان وظل الأمر على هذه الحال حتى سنة 638م فرسم الحكام العرب أن يكون القائم على شؤون البطريركة عربي اللغة، وعند احتلال الفرنجة للقدس تبدل الحال إلى حيث مجيء السلطان صلاح الدين الأيوبي فأعيدت البطريركة إلى الأرثوذكس، وفي أيام البطريرك كيرلس 1840-1873م كانت الأملاك الواسعة التابعة للقبر المقدس تحت إشراف البطريركية.

أديرة كنيسة القيامة

دير الآبار الفرنسيين (اللاتين) في كنيسة القيامة (الفرنسيسكان)

يقع الدير شمالاً حيث كانت قديماً الدار البطريركية، وكان الرهبان حتى سنة 1870م يعيشون في دير مظلم، فتوصل فرنسيس يوسف الأول إمبراطور النمسا إلى الحصول على إذن لهم ببناء دير صغير أضيفت إليه طبقة جديدة سنة 1967، وينسب الرهبان الفرنسيون إلى القديس فرنسيس الأسيزي (1182-1226م) الذي نشأ وعاش في أمبريا من أعمال إيطاليا.

وكان قد جاء إلى القدس سنة 1219م وكان قبل ذلك بسنتين أي في عام 1217م قد أنشأ (مقاطعة الأرض المقدسة) وقد سميت اختصاراً باسم (حراسة) وأرسل أول رهبانية إلى البلاد المقدسة، وطلب من السلطان الملك الكامل الأيوبي أن يبقوا في الشرق ويزوروا القيامة، فظلوا بعد سقوط مملكة القدس اللاتينية يحرسون الأماكن المقدسة، وفي سنة 1333م سمح لهم السلطان الملك الناصر بسكن كنيسة القيامة وبعد ذلك بقليل أي سنة 1342م وافق البابا كليمنص السادس Clement vi ببراءة بابوية على وجود الفرنسيين هذا في الكنيسة على أن يكونوا حراس الأراضي المقدسة باسم العالم الكاثوليكي، ومع تقلب الأيام على كنيسة القيامة، وبعد أن صارت البلاد إلى الحكم العثماني 1516م بقي الفرنسيون في الكنيسة ورسموها مرتين الأولى سنة 1555م والأخرى سنة 1719م.

دير المخلص

أمر البابا كليمنص السادس لعام 1342م ببناء هذا الدير للرهبان الفرنسيين، وكان مركزه جبل صهيون لكنهم طردوا من هذا الدير عام 1551 وحصلوا على مكانهم الحالي أي دير المخلص في القدس.

فرنسيسسيات مريم الراهبات البيض 1909م: ولهن في القدس دير ومنزل للحجاج، وفي بيت لحم روضة أطفال ومنزل للاستقبال.

دير القديس إبراهيم

عند ساحة القيامة شرقاً، بعد فتح الأتراك القسطنطينية 1453م جعل الاكليروس البيزنطي يتردد إلى الأراضي المقدسة، وبعد الفتح العثماني (1516م) بقليل صار على القدس بطريرك يوناني يدعى جرمانوس (1534-1579)، وهو الذي أسس "أخوية القبر المقدس" التي يعد أعضاؤها حراس الأراضي المقدسة باسم العالم الأرثوذكسي، اشترت بطريركية الروم الأرثوذكس في القدس دير القديس إبراهيم عام 1660م من الأحباش وأكملوه، وعثروا تحته نحو سنة 1690 على كنيسة قديمة تعرف بكنيسة الرسل.

ومنذ أيام البطريرك جرمانوس المذكور عمل الأرثوذكس اليونان على توسيع كنيسة القيامة، ولما دب الحريق في الكنيسة سنة 1808م توصلوا إلى الانفراد بترميم أكبر قسم منه بموجب مخططاتهم.

ولهم اليوم أكبر حصة فيها، ومنها محور الكنيسة المعروف بـ"تصف الدنيا"، وفي كل يوم يقيمون الصلاة هناك.

دير الأرمن الأرثوذكس

يقع دير الأرمن الأرثوذكس في حارة الأرمن حول كنيسة القديس يعقوب الكبير، وهو بناء إفرنجي يرتقي إلى القرن الثاني عشر الميلادي وقد بُني نصف ذلك الدير في القرن السابع عشر الميلادي.

دير الأقباط الأرثوذكس

ديرهم وكنيستهم الكبرى معروفان باسم دير وكنيسة القديس أنطونيوس، ويقومان خارج كنيسة القيامة بالقرب منها، حيث ترى بقايا واجهة الكنيسة التي شادتها هيلانة، وحيث كان دير قانوني القبر المقدس أيام الفرنجة، وقد بناها الأسقف باسيليوس الحادي عشر بعد سنة 1850م.

دير السلطان وهو دير الرهبان الأحباش

وفي دير السلطان المجاور، على سطح كنيسة القديسة هيلانة في المكان الذي ترى فيه بقايا غرفة طعام قانوني القبر المقدس أيام الفرنجة، يقيم الرهبان الأحباش في مساكن بسيطة، ويصلون في كنيسة صغيرة ويطعمون هناك صلاة طويلة يوم سبت النور.

في دير السلطان بالقدس يسكن رهبان وراهبات الكنيسة الحبشية في أكواخ تقوم على سطح كنيسة القديسة هيلانة، وفي دير القدس القديمة وآخر بالقرب من الكاتدرائية التي بنيت في 1896-1904 ولهم دير بالقرب من نهر الأردن بني سنة 1934 وآخر على طريق القدس أريحا القديمة بعد العيزرية.

دير القديس مرقس للسريان الأرثوذكس

يقيم السريان الأرثوذكس الصلاة في معبد للأرمن يقوم في حنية القبر المقدس الغربية ولهم في القدس دير يدعى دير القديس مرقس جُددت كنيسته سنة 1940 وهي ترتقي إلى القرن الثاني عشر الميلادي.

وقد أجمعت ديارات كنيسة القيامة على ترميم كنيسة القيامة فبدأ العمل سنة 1960 وما زال العمل قائماً، وقد كشفت الحفريات التي أجريت لهذه المناسبة الحقيقية عن شتى الآثار التي كانت محتجبة هنا وهناك، ووفرت معرفة أفضل لتاريخ المكان ومراحل المتعاقبة، وعمل الترميم على أن تكون مختلف الأقسام أقرب ما تكون من صورتها الأصلية وأن تكون كنيسة القيامة جديرة حقاً بأقدس مكان مسيحي في العالم.

دير البندكتيين

ينسب البندكتيون إلى القديس بندكتس Benedictus أو مبارك Benoit (480-547م)، والذي يعد "أبا رهبان الغرب" وأحد منظمي الحياة التشفية في القرون الوسطى.

امتدت الأديار البندكتية إلى الشرق، وقد يكون البابا غريغوريوس (590-604م) أول من أقام ديراً بندكتياً في القدس مع مضافة للحجاج بالقرب من كنيسة القيامة، ثم أقام شارلمان ثلاثة أديار هناك، وفي القرن الحادي عشر الميلادي أقيمت ثلاثة أديار في جوار كنيسة القيامة، ومشفى للمرضى والفقراء، ومضافة للحجاج، ولعل أهم دير كان لهم في القدس هو دير سيدة يوشلفا في جوار كنيسة قبر العذراء، وكان رهبانه يعنون بالهندسة وبالضيافة والزراعة، وكان لهم مشفى، وكان للراهبات البندكتيات دير في الصلاحية وآخر في العيزرية القريبة من القدس.

واليوم في القدس دير للبندكتيين يقوم على جبل صهيون الحالي في بستان "النياحة" حيث بنيت كنيسة مريم العذراء ذكراً للأيام الأخيرة من حياتها.

وقد قدم المكان السلطان عبد الحميد لغليوم الثاني إمبراطور ألمانية سنة 1898م فجعله هذا ملكاً للكاتوليك، فبنى الألمان الكاثوليك هناك في عام 1900م ديراً وكنيسة على اسم "رقاد العذراء" مستديرة على وفق فنون مختلفة من الهندسة.

وفي سنة 1906م سُلّم الدير والكنيسة إلى البندكتيين الألمان فزينوا الكنيسة بالفسيفساء، وجعلوا

منها مزاراً جذاباً، واشتهروا بالنشاط الأدبي والعلمي والهندسة والصناعة، وأقاموا متحفاً فلسطينياً. وفي الدير اليوم مركز للدراسات الكتابية ومركز مسكوني للبحث اللاهوتي ومنتدى للقاءات الطلاب، وهو مسؤول عن ملجأ العجزة.

بندكتيات سيدة الجلجلة: (1896م) لهن على جبل الزيتون دير محصن وقيم.
 بندكتيات أبو غوش (1977): لهن دير للصلاة.

دير الكرمليت

تنسب الراهبات الكرمليات إلى الكرمل، وقد قامت بتجديد رهبانيتهن في القرن السادس عشر الميلادي القديسة الإسبانية تريزيا الأخيلية.

ولهن في فلسطين أربعة أديار أقيم أولها في القدس على جبل الزيتون جنوبي كنيسة الصعود قريباً من الموضع المعروف قديماً بكنيسة "اليونا" ويول هذا الاسم على جبل الزيتون في اليونانية. في هذا المكان مغارة خصها القدامى المسيحيون بأعظم إكرام لجلوس المسيح "في جبل الزيتون قبالة الهيكل" (مرقس 13: 3) في آخر أسبوع من حياته وتعليمه بعض تلاميذه هناك ما يتعلق بخراب أورشليم المقبل ونهاية العالم وما يفرضه ذلك على المؤمن من السهر.

وقد حدث هذه الذكرى بالقديسة هيلانة أم قسطنطين إلى أن تزين المكان بين سنتي 326 و333 م بكنيسة ثالثة فخمة إلى جانب كنيسة القيامة وكنيسة المهد، وكانت هذه الكنيسة تشرف على مدينة القدس وتخلد صعود المسيح وتعاليمه.

وقد حولت المغارة فيها إلى كنيسة سفلى كان يدفن فيها أساقفة القدس، وتقلب التاريخ على الكنيسة فأقيم مكانها أيام الفرنجة (1152م) كنيسة أخرى لقبها الفرنجة بكنيسة "أبانا" ذكرى للصلاة الربية التي قد يكون المسيح علمها في هذا الموضع، ولكن هذه الكنيسة لم يكتب لها البقاء.

وفي عام 1868م اشترت المكان أميرة فرنسية وبنت فيه ديراً وكنيسة وكلتاهما إلى الراهبات الكرمليات المحصنات (1874م) وألحقت بالكنيسة غرباً أروقة كتبت على جدرانها صلاة "أبانا" الذي في السموات" بلغات متعددة.

وما بين عامي 1910-1911 كشفت الحفريات الأثرية على بقايا كنيسة "اليونا" والمغارة فبدئ ببناء كنيسة جديدة عليها تكون "مقدس السلام بين الشعوب والأمم".

هذا وفي كل يوم يشهد دير الكرمليت الحجاج القادمين إلى كنيسة الراهبات الكرمليات والآثار المجاورة ليشاركوا الراهبات صلاتهن اليومية من أجل العالم وليذكروا شأن الصلاة التي علمها المسيح يوماً لتلاميذه.

الرهبان الكرمليون: (1631م): لهم ديران في جبل الكرمل.

دير المصلبة

يقع دير المصلبة في وادٍ غربي القدس، ويستند هذا الاسم إلى أسطورة تقول إن الشجرة التي أخذ منها صليب المسيح نمت في المكان الذي ترتفع فيه كنيسة الدير، وتحيط بالدير أسوار عالية تُظهره بمظهر قلعة من قلاع القرون الوسطى.

وقد اختلف الدارسون في عهد تأسيس الدير فمنهم من يذهب إلى أنه من القرن الرابع الميلادي، وآخرون يذهبون إلى أنه من القرن الخامس وأن الذي أسسه هو "تاسيان" ملك جيورجيا، وقد دمره الفرس فرممه الامبراطور هرقل في القرن السابع الميلادي، وتوالى التاريخ على الدير وتعرض لتقلبات الزمان.

كان يسكن الدير رهبان جيورجيون امتازوا بالنقوى وجعلوا من ديرهم مركز حياة دينية وثقافية لكل فلسطين، بدليل بقايا مكتبتهم الحاوية كثيراً من المخطوطات الثمينة التي نقلت إلى مكتبة الروم الأرثوذكس في القدس وبينها ترجمات عربية لأقسام من الكتاب المقدس، وإلى ذلك اشتهر رهبان الدير بحسن ضيافتهم وكانوا يعنون بأعمال الحقول وزراعة الكرمة.

وكانت سنة 1644م آخر مرة رُمِّ فيها الدير قبل ترميمه الحالي، وبعد ذلك بأربعين سنة تسلمه الروم الأرثوذكس من أصحابه الجيورجيين، وقد أقاموا فيه في القرن التاسع عشر مدرسة للاهوت، وزائر الكنيسة لا يزال يعجب بالفسيفساء التي فرشت بها أرضها والصور التي رسمت على جدرانها قديماً، ويُرَى وراء المذبح المكان الذي تقول الأسطورة إن شجرة الصليب نمت فيه وإليه يعود اسم الدير.

دير طور زيتا

يقول ياقوت الحموي إن دير طور زيتا من الديرة المحيطة ببית لحم وعلى فرسخين من شرقيها، وإلى جانبه جبل يصعد في قَلْتِه ستمائة مرقاة، قيل إن عيسى عليه السلام صعد منه إلى السماء.

وفي المراجع المحدثّة أن هذا الدير تسميه العرب جبل الطور أو طور زيتا وعليه تقوم قرية الطور، ويقع هذا الجبل شرق مدينة القدس ويشرف على المدينة بأسرها، وكان السيد المسيح عيسى بن مريم عليه السلام يلجأ إلى جبل الزيتون هرباً من أذى اليهود، وجاء في إنجيل متى أنه خاطب القديس بقوله: يا أورشليم يا قاتلة الأنبياء وراجمة المرسلين إليها، كم مرة أردت أن أجمع أولادك كما تجمع الدجاجة فراخها تحت جناحيها ولم تديرها هذا بيتكم يترك لكم خراباً.

وفي رواية أن الزيتون المذكور في الآية القرآنية الكريمة "والنتين والزيتون. وطور سينين" هو جبل الزيتون عند بيت المقدس.

ومن المقدسات المسيحية الحالية الكنيسة الجسمانية التي تقع عند أسفل جبل الزيتون في وادي

جهنم عند ملتقى الطرق بين القدس والطور وسلوان، وقمة الصعود وكنيسة ستنا مريم ودير الجليل وكنيسة الزيتون ونزل فيكتوريا.

دير قمامه

يقول ياقوت الحموي في كتاب (الخلز والدال) إن هذا الدير يقع بأرض المقدس الشريف، وهو منسوب إلى امرأة نصرانية يقال لها قمامة وهي التي بنت الدير، وأقامت فيه مع روابه لها، ولما ماتت دفنت فيه، وفي كتاب (مراسد الاطلاع) أن دير قمامه هو كنيسة للنصارى ببيت المقدس في وسط البلد، فيها قبة، تحتها قبر، يقولون: إن المسيح دفن فيه، ومنه قام، فلذلك تسميها النصارى القيامة.

من أديار الأرثوذكس

وللروم الأرثوذكس في القدس 19 ديراً للربان منها دير مار إبراهيم المجاور لساحة كنيسة القيامة، ولهم في القدس أيضاً خمسة أديار للراهبات، وبالقرب من القدس، في بيت عنيا، دير آخر للراهبات.

ولهم في غير القدس 23 ديراً للربان تخلد ذكرى بعض الديار القديمة ومن أهمها:

دير مار ثيودوسيوس، ودير مار سابا، ودير القديس جاورجيوس كورزيا، وجميعها بين جبال الخليل والبحر الميت، ثم دير مار الياس على طريق القدس بيت لحم، ودير قرنطل المطل على أريحا.

من أديار الكنيسة القبطية

إن مركز الرهبان الأقباط دير الأنبا أنطونيوس القائم في القدس والمعروف بالدير الكبير حيث أسقف الأقباط، ولهم أديار في القدس، ولهم دير كبير في يافا ودير أنش عند نهر الأردن 1946-1956، وهناك بعض الراهبات القبطيات في دير السيدة العذراء قرب باب الخليل في القدس.

ديارات الروس

تسكن الراهبات الروسيات في الدير القائم على جبل الزيتون منذ سنة 1907 والدير القائم عند كنيسة مريم المجدلية التي بنيت سنة 1877 في الجسمانية ودير بيت عنيا (العيزرية) حيث مدرسة وعبادة منذ سنة 1933، ومنهم من يسكن عند دير عين كارم الذي يعود تاريخه إلى سنة 1871. دير الكنيسة الرومانية: في القدس يقيم فيه راهب وبعض الراهبات.

خاتمة

يهدف هذا البحث المتواضع إلى تأكيد النظرة المتسامحة لمجتمع مهد الرسالات الذي نحيا بين ظهرانيه والذي نؤلف لحمته وسداه، من أي دين كنا، وعلى أي مشرب ننهل منه بعيداً عن أي تخرصات أو تشنجات أصولية، فالراهب المتسك الذي يفى إلى ديره، وإنما يفى إلى أرض المحبة، أرض هذا الدير.

*كاتب سوري

■ ثبت المصادر:

- 1- الخزل والدأل- بين الدور والديارات والديرة باقوت الحموي- (توفي 626هـ)- سلسلة إحياء التراث العربي- تحقيق: يحيى زكريا عبارة ومحمد أديب جمران- وزارة الثقافة السورية دمشق 1998- 2- الموسوعة الفلسطينية.

□□□

صدر

عن منشورات اتحاد الكتاب العرب

لو كنت حصاناً

شعر للأطفال.....أصف عبدالله